المبحث السادس والعشرون: اشتداد مرضه ووصيته في تلك الشدة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات[1] وينفث فلما اشتد وجعه [الذي توفي فيه] كنت أقرأ [وفي رواية أنفث] عليه بهن وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها. قال ابن شهاب: «**ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه**»[2]. وفي صحيح مسلم قالت: «**كان رسول الله إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي**»[3]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي فلم يغادر

---

1 () المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد, وقل أعوذ برب الفلق, وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح 8/131 و 9/62.

2 () البخاري برقم 4439, 5016, 5735, 5751, ومسلم برقم 2192 وكان يفعل ذلك أيضاً إذا أوى إلى فراشه "فيقرأ بقل هو الله أحد, وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات" البخاري برقم 5748.

3 () مسلم برقم 2192.

منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله . فقال: «**مرحباً بابنتي**» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله, ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً, فقلتُ لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لِأُفشي سرَّ رسول الله . فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت: أخصَّك رسول الله بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لِأُفشي سرَّ رسول الله , فلما توفي رسول الله قلت: عزمتُ عليك بما لي من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ؟ فقالت: أمَّا الآن فنعم: أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى «**فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني**[1] **إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك**», قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت, فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «**يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء**

---

1 () أي لا أظن.

المؤمنين, أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت"[1] وفي رواية: **«فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت»**[2].

فكان سبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين, وأول من يلحق به من أهله, وسبب البكاء أنه أخبرها بموته . قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (وروى النسائي في سبب الضحك الأمرين)[3] أي بشارتها بأنها سيد ة نساء هذه الأمة, وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد إتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها أول من مات من أهل بيت النبي بعده حتى من أزواجه[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيتُ أحداً أشدَّ عليه الوجع[5] من رسول

---

1 () البخاري برقم 4433, 4434, ومسلم برقم 2450, واللفظ لمسلم.
2 () البخاري برقم 4433, 4434, ومسلم 2450.
3 () انظر: فتح الباري 8/138.
4 () انظر: فتح الباري 8/136.
5 () المراد بالوجع: المرض, والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح 10/111, وشرح النووي 16/363.

الله)[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله وهو يوعك[2] فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً, فقال رسول أللهﷺ: «**أجلْ إني أوعك كما يوعك رَجُلان منكم**» قال: فقلت: ذلك إن لك أجرين. فقال رسول الله : «**أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[3].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِلَ[4] برسول الله

---

1 () البخاري برقم 5646, ومسلم برقم 2570.
2 () يوعك: قيل الحمى, وقيل ألمها , وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه. الفتح 10/111.
3 () البخاري مع الفتح 10/111 برقم 5647, 5648, 5660, 5661, 5667, ومسلم 4/1991 برقم 2571 واللفظ له إلا ما بين المعكوفين.
4 () نُزل: أي لما حضرت المنية والوفاة. انظر: شرح السنوسي على صحيح مسلم بهامش الأبي 2/425, وفتح الباري 1/532.

طفق[1] يطرح خميصة[2] له على وجهه فإذا اغتم[3] كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحذِّرُ ما صنعوا[4].

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم تذاكروا عند رسول الله في مرضه فذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله : «**إن أولئِكِ إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئِكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: (قال رسول الله في مرضه

---

1 () طفق: أي شرع وجعل, انظر: شرح النووي 5/16, وشرح الأبي 2/425, حاشية السنوسي, وفتح الباري 1/532.

2 () خميصة: كساء له أعلام.

3 () اغتم: تسخن بالخميصة وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.

4 () البخاري مع الفتح 8/140 برقم 4443، 4444, ومسلم برقم 531.

5 () البخاري برقم 427 و434, 1341, 3878, ومسلم برقم 528.

الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره, غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً)[1].

وعن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً, ولا تجعلوا قبري عيداً, وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[2].

وعن أنس قال: لما ثقل النبي جعل يتغشاه[3], فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه[4] فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه, يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه , يا أبتاه

---

1 () البخاري برقم 435, 1330، 1390, 3453, 4441, 4443, 5815, ومسلم برقم 529 ولفظ مسلم ((غير أنه خُشِيَ)), وعند البخاري برقم 1390 ((غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ)).

2 () أبو داود 2/218, برقم 2042، وأحمد 2/367, وانظر صحيح أبي داود 1/383.

3 () يتغشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.

4 () لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك, وإلا لنهاها . انظر: الفتح 8/149.

إلى جبريل ننعاه[5]. فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟)[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

1- استحباب الرقية بالقرآن, وبالأذكار, وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً, ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل, فيدخل في ذلك كل شيء, ومن شر النفاثات في العقد, ومن شر السواحر, ومن شر الحاسدين, ومن شر الوسواس الخناس[3].

2- عناية النبي ببنته فاطمة ومحبته لها؛ ولهذا قال: «**مرحباً بابنتي**» وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبّلها, وأجلسها في مجلسه, وإذا دخل عليها فعلت ذلك رضي الله

---

1 () ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.
2 () البخاري برقم 4462.
3 () انظر: شرح النووي 14/433, والأبي 7/375.

عنها, فلما مرض دخلت عليه وأكَبَّتْ عليه تقبله[1].

3- يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات, والعطف عليهن, والإحسان إليهن, ورحمتهن, وتربيتهن التربية الإسلامية, اقتداء بالنبي , وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.

4- عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها, فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه, ويعتني ببرهما, ولا يعقهما, فيتعرض لعقوبة الله تعالى.

5- معجزة النبي التي تدل على صدقه وأنه رسول الله , ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله, فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.

6- سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة, وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى, ولكنهم لا يتمنون الموت لضر نزل بهم؛ لرغبتهم

---

1 () انظر: فتح الباري 8/135, 136.

في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.

7- المريض إذا قَرُبَ أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله لفاطمة: «**فاتقي الله واصبري**».

8- فضل فاطمة رضي الله عنها وأنها سيدة نساء المؤمنين.

9- المرض إذا احتسب المسلم ثوابه, فإنه يكفر الخطايا, ويرفع الدرجات, وتزاد به الحسنات, وذلك عام في الأسقام, والأمراض ومصائب الدنيا, وهمومها وإن قلّت مشقتها, والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاء, ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر, ويظهر صبرهم ورضاهم, ويُلحق بالأنبياء الأمثل فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم وإن كانت درجتهم أقل, والسر في ذلك والله أعلم أن البلاء في مقابلة النعمة, فمن كانت نعمة الله عليه أكثر

كان بلاؤه أشد؛ ولهذا ضوعف حد الحُرِّ على حد العبد, وقال الله تعالى: ﴿ ﴾ [1]. والقوي يُحمَّل ما حمل, والضعيف يرفق به, إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء, ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء, وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيُسلِّم ويرضى ولا يعترض[2].

10- التحذير من بناء المساجد على القبور ومن إدخال القبور والصور في المساجد, ولعن من فعل ذلك, وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة, وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ قبل موته بخمسة أيام[3].

---

1 () سورة الأحزاب، الآية: 30, وانظر: شرح النووي 16/238, 365, 366, 5/14, والأبي 8/326.

2 () انظر: فتح الباري 8/136, و 10/112, و 3/208.

3 () انظر: فتح الباري 8/136, و 10/112, و 3/208.